باب المقالات

الفسق العلني والدستور (*)

حدثنا غير واحد من الفضلاء الذين جاؤا العاصمة من طرابلس الشام ان بعض سماسرة الفسق جاءها بثلة من النساء الروميات العاهرات اللواتي يتجرن باعراضهن فانشأن يرقصن كل ليلة في بعض الملاهي وهن في هيئة منكرة من التبذل والتبرج والتهتك تغري من رآها بالفسق ثم يعدن الى منازلهن وقد جذبن اليهن من جذبن من الفساق يختلفون اليهن جهرا فيقتلون لهن أموالهم وصحتهم وشرفهم ودينهم ويخرجون حاملين منهن جراثيم داء الزهري (الملب الافرنجي) وسمه القتال المسدي فيلقونه في بيوتهم و بيوت من يؤاكلونهم و يشاربونهم حتى ان الدكتور ملريا أحد أطباء البلد المشهورين قال لبعض محدثينا انه عرض عليه كثيرون من المصابين بهذا الداء بعد استقرار هؤلاء العاهرات في طرابلس وكان ذلك نادر الوقوع فيها فكم يكون عدد الذين عرضوا على غيره وعدد الذين لم يعرضوا على الأطباء لجهلهم واهمالهم

واخبرنا أولئك المخبرون ان علماء طرابلس وأهل الدين والشرف فيها حرجت صدورهم واضطربت قلوبهم وضاقت عليهم نفوسهم وشكوا الامر الى حكومتهم فلم تشكهم ولا اجابتهم الى ازالة المنكر القبيح الذي لم تعهده بلدتهم ، وظن الجماهير من الناس ان المجاهرة بالفسق من لوازم الحكومة الدستورية فهو بلاء واقع ما له

(*) نشرنا هذه المقالة والتي تليها بجريدة المضارة

من دافع لان رجال الدستور هم الذين يحمونه ، واطلعني أحد هؤلاء على كتاب جاءه من صديق له وكلاهما من مستخدمي الحكومة وأعضاء جمعية الاتحاد والترقي يقول فيه ان عدد الارتجاعيين يكاد ينمو ويزداد في طرابلس وقاها الله وسائر البلاد من شر الارتجاع وأهله، وسنبين لهم بالبرهان خطأهم في سوء ظنهم هذا بالدستور ورجاله

ان طرابلس الشام قد امتازت منذ القرون الماضية والايام الخالية بمزايا قلما توجد بلدة في الدنيا تفوقها أو تضارعها فيها وهي المحافظة على شعائر الدين وآدابه الاجتماعية ، والطهر من مواخير الفسق والوسرية ، وحانات السكر العلنية ، وبيوت القمار المخصوصية، ولا اذكر انني رأيت في السنين التي عشتها فيها أحدا من السكارى الارجلين أحدهما زنجي كبير السن كان يجول في حارة النصارى فيتجمع عليه الصبيان يعبثون به و يسخرون منه ، وقد اعتاد السكر من خدمته لبعض النصارى في أيام شبابه ، والثاني شاب من أولاد الصناع كان يشرب سرا وربما خرج متنمطا غلا فكان لافتا لاعناق الناظرين المتعجبين ، ومحركا لالسنة الهمازين المستهجنين ، وأذكر ان مدمنة فرنسية وقفت في ميناء طرابلس فخرج بعض ضباطها الى البلد فجعل يجول فيها فطلب من الترجمان أن يذهب به الى ماخور النساء أو يأتيه بامرأة يتمتع بها فلما سمع أهل السوق هذا هموا بالضابط فأنذرهم بعض الاذكياء عقبة الامر واسرع باعلام الحكومة فأرسلت اليه من رجال الشحنة والشرطة من حافظ عليه الى أن عاد الى البحر بعد ما أفهمه الترجمان أن هذه البلدة ليس فيها نساء للفسق

ان بلدة هذا وصفها وقد كانت ولا تزال من اكثر البلاد اشتغالا بالعلم الديني بالنسبة الى عدد السكان جديرة بأن تضيق ذرعا بالفسق العلني فاجئها شر مفاجأة وقد كان لحكومتها سلطان من الدستور على منع هذا المنكر المخالف لآداب القوم العمومية ولكن متصرفها السابق كان جاهلا خاملا بليدا وأما المتصرف اللاحق فلم يبلغنا أنهم شكوا اليه ذلك ولعلهم لم ييأسوا من الحكومة ولعل المتصرف الجديد لا يقصر في تلافي هذا الامر الامر ، وإزالة هذا العمل النكر ، وهو قد رأى بعينيه، وسمع بأذنيه ، وعمل يديه ورجليه ، في منع ما هو دونه من المنكرات في العاصمة كمنع تبرج النساء ولمختلطين بالرجال في مثل يوم عيد الدستور ومنع الصبيان من

الحمامات . كل ذلك عناية من الحكومة الدستورية العليا بالآداب الاسلامية ، ولا يتوهمن أن الامر قد استقر فهو يدوم بحركة الاستمرار ، وانه يفتقر في الدوام ما لا يفتقر في الابتداء ، فالامر لا يزال في أوله ولا تزال أخطاره محصورة في دائرة ضيقة ، فيجب أن يرقع قبل اتساعه ، وتداوى العلة قبل إعضالها

قد استفظع هذا المنكر أهل العلم والدين والغيرة على العرض — وهم السواد الاعظم في طرابلس الشام — واكثرهم لا يعرف من شره الا انه عمل محرم في الشرع فاذا يقولون وماذا يعملون اذا علموا بما وراءه من الشرور والرزايا في هتك الاعراض واغتيال الاموال وفشو الامراض وفساد داخلية البيوت وهو ما سنشرحه في مقالة أخرى ؟؟

يجب على أهل العلم والدين أن يعيدوا الكرة بمطالبة الحكومة المحلية بمنع هذا المنكر من بلدهم المخالف لآدابهم السنوية التي نص القانون على وجوب احترامها وذلك يكون في كل مكان بحسبه ، وجمهور أهل العلم والدين والمروءة هم المحكمون في عرف بلدهم وآدابه ، ولانه هتك لحرمة الدين الذي كفل القانون الاساسي حفظه واحترامه بل لم يقبل الا لبنائه على أساسه ، واقتباسه من نبراسه ، فان لم تبادر الحكومة المحلية الى اجابة طلبهم فليرفعوا الامر الى حكومة العاصمة ولو بلسان البرق

لا تصدقوا وسوسة شيطان الارتجاع بتضليل تلك الحكومة الاستبدادية الباغية على الحكومة الدستورية الداعية ان شاء الله تعالى في حفظ الشرع وآداب الدين ، فانا قد رأينا من هذه الحكومة اكثر مما كنا نتوقع من اتقاء ما يخدش التصور الديني ، ولم يكن أحد يستطيع أن يحتج بالدين على شيء في العصر الحميدي المظلم فاعلموا الآن انكم أقدر على حفظ دينكم وعرضكم اذا عرفتم كيف تحفظونه فحكومة الدستور هي حكومة الامة وحكومة الاستبداد هي حكومة رجل واحد لا قيمة فيها للامة ولا لدينها ولا لعرضها ولا لشرفها .

ألم يبلغكم أن أهل البصرة أرادوا أن ينصبوا تمثالا لابي الدستور (مدحت باشا) فمنعتهم الحكومة العليا من ذلك لانه مخالف للشرع الاسلامي ، ألم تعلموا أن مجلس

الوكلاء قرر منع انتشار كتاب تحرير المرأة اذ طبع مترجما بالتركية لئلا يكون سببا لكثرة الخوض في مسألة رفع الحجاب عن النساء ، حتى عد بعض الناس الحكومة مثالية في ذلك ، أتقررون أن هذه الحكومة ترضى بان يثلم أولئك الرومبات الفواجر شرفكم ويهتكن آدابكم الدينية والقومية ويسلبن أموالكم - في زمن يقاطع العثمانيون فيه تجارة اليونان المباحة - ويفسدن امر الصحة العمومية ويزدن في اسباب التعدي والجنايات ؟؟ حاش للحكومة ان ترضى بذلك اذا كنتم أنتم تكرهونه وتمقتونه ، فاطلبوا المقاصد بأسبابها ، واغلقوا البيوت من ابوابها ، واتقوا الله لعلكم تفلحون

***

مضار البغاء ومفاسده

للزنا مضار ومفاسد كثيرة في الصحة والاخلاق والروابط الزوجية والحياة الاجتماعية والاقتصادية والانتاج لاجلها كان محرما في الاديان فان الله تعالى لم يحرم على الناس شيئا إعناتا للناس ولا منعا لهم من التمتع بالذات التي لا ضرر فيها وانما حرم عليهم كل ما هو ضار وأباح لهم كل ما هو نافع وما كان فيه نفع وضر فالترجيح في الشريعة لما فيه دفع المفسدة وحفظ المصلحة والمنفعة جار على الطرق الموافقة لنظام الفطرة وقوانين المنطق المعقولة ، واشد الزنا ضرراً واكثر مفاسد البغاء المستباح الذي يتخذه العواهر حرفة تكون معروفة في البلد فكل من شاء ذلك تيسر له متى شاء مادام يملك أجرة البغي

هذا الضرب من الفسق هو الذي يسرع افساد الصحة والآداب وتقليل النسل وايقاع الشقاق في البيوت حتى تصل الى درجة يستباح فيها اكثر الاعراض وتفشو القيادة والدياثة حتى لا يوثق بفسل أحد الا النادر من الناس واكثر الشبان الجاهلين لا يعرفون من أمر هذه المفاسد شيئا فيقضي الفسق على حياتهم الجسدية والادبية والمنزلية من أول النشأة ولا يعرفون من أين جاءهم البلاء بل لا يدرون به الا بعد وصوله الى حد اليأس ولا سيما في البلاد الصغيرة (كطرابلس الشام التي سرى اليها هذا البغاء الآن) التي ليس فيها مستشفيات تداوى فيها الامراض

والادواء التي تتولد من الزنا كالزهري والسيلان ، ويعتبر بما يرى فيها من العبر من كان لا يعرف ذلك من الشبان

أول رزايا البغاء وأسرعها حصولا انتشار المرض الزهري القتال ويا ليت هؤلاء الشبان المساكين يعرفون شيئا من عواقب الزهري وما ينتهي اليه . ليتهم يدخلون المستشفى في مثل الاستانة ومصر فيشاهدون بأعينهم بعض المصابين بهذا الداء ومنهم الذي فقد بصره وسمعه ومنهم من سقطت أسنانه وتأكل لسانه . ومنهم من استؤصلت منه أعضاء التناسل ، وأهونهم حالا من كان قريب عهد بالمرض وقد انتشرت البثور على جسده ولم تصل سمومها الى أعضائه الرئيسة ، ويالها من مناظر تشخص لها الابصار وترجف لهولها القلوب

يا ليت هذا الداء الخبيث لم يكن معديا اذا كان يكون وبالا على أولئك الفساق وحدهم وهم له مستحقون ، ولكنه من الادواء التي تسري بضروب من العدوى لا يعرف طرق التوقي منها الا من لهم إلمام بعلم الصحة وهم في بلادنا قليلون ، فيالحسرة على أهل بيت يغري الشيطان أحدهم فيقوده الى تلك المواخير النجسة فيعود حاملا الى أهله الابرياء المساكين ذلك السم القتال فيفتح به امرأته وأولاده واخوته واخواته وربما أصاب به والديه فانه قد يتقتل بفضل الطعام وسؤر الشراب وبالتقبيل والمس اذا كان هنالك جرح أصابه ذلك السم ولو جرح انملال في الثة

ومن رزايا هذه الفاحشة ومصائبها أن من افتتن بها يصير يؤثر الحرام على الحلال فان كان أعزب تضعف داعية الزواج الشرعي في نفسه ولذلك يقل الزواج في جميع البلاد التي يفشو فيها الزنا ومضار ذلك كثيرة منها قلة النسل ومنها كثرة الايامى من النساء وذلك مدعاة لخروجهن من حظيرة العفة والصيانة حتى ان الموانس من العذارى الابكار يلجأن أحيانا يلتمسن الاخدان في البيوت السرية فكيف يكون حال الارامل ؟ وان كان متزوجا يهجر امرأته ولو جميلة ويأوي الى بغي دونها جمالا وفتاء وان شاركه فيها من لا يحصى من اسافل الناس وبذلك تضعف غيرته على العرض ويضيق ذرع امرأته ويحوجها الاضطرار فتنتقم منه والجزاء من جنس العمل

يتوهم بعض المغرورين بأنفسهم انه يسهل عليهم الجمع بين التهتك في الفسق وبين صيانة نسائهم عنه وان قل نصيبهن منهم، وانما ذلك هو الجهل والغباوة وعدم الخبرة والتجربة فما ذكرناه من افضاء تهتك الرجال في الفسق الى افساد نسائهم هو من القضايا المعقولة الثابتة بالتجربة المؤيدة بحديث « عفوا تعف نساؤكم » فان استبعدته عقولهم الضعيفة فليعلموا أن المشاهدة والتجربة أقوى حجة من نظريات الفلاسفة الحكماء . أفلا تكون أقوى من نظريات الجهلة الاغبياء ولو كانت النظريات المتبادرة الى الرأي أقوى من علم المختبر للشيء والعالم به من المشاهدة أو خبر التواتر عن المشاهدين والمجربين لكان من المردود بادي الرأي ادعاء رغبة الفاسق عن زوجته الجميلة الطاهرة المقصورة عليه الى عاهرة دونها في كل شيء ولكنه واقع ومن أغرب وقائعه ان امرأة في مصر بحثت عن سبب هجر زوجها لمضجعها زمنا طويلا فعلمت انه يأوي الى بعض مواخير الفسق الخفية فذهبت الى قوادة الماخور واعطتها صورتها ورغبت اليها أن تعرضها مع الصور اللواتي عندها على فلان (الذي هو زوجها) فلما عرضت الصورة عليه جذب بصره حسن صورة امرأته ولم يفطن لها لانه لم يخطر في باله أن تعرف ذلك المكان او تميل الى الفاحشة مثله وكانت اجمل من جميع النساء اللواتي يختلفن اليه فلما طلبها من القوادة طلبت منه مالا كثيرا فوق ما كانت تطلبه عادة فبذله وبعد أن اجتمع بامرأته وهو لا يعرفها وأظهر لها أنه كان أسعد الناس بلقائها وانه ماسر في حياته بامرأة كسرورة بها تعرفت اليه ووبخته وقالت له كيف تكون اسعد الناس بقربي في الحرام مع الخسارة وبذل المال لهذه القوادة الملعونة ولا تكون أسعد الناس في الحلال مع حفظ المال ...

الا فليعلم أهل طرابلس الشام ومن على شاكلتهم ـ من المتعرضين لانشاء البغاء في بلادهم ـ أنهم اذا لم يتداركوا هذا الامر قبل ثباته واستقراره فان أعراضهم على خطر وان ما عندهم من الغيرة والحماسة الآن سيكون في أول العهد بهذا البلاء سببا لسفك الدماء ثم تضعف الغيرة رويدا رويدا حتى تكثر القيادة والديانة كما في جميع البلاد التي فشا فيها البغاء والبشر متشابهون في الاستعداد لذلك والعلل مربوطة بمعلولاتها والاسباب موصولة بمسبباتها

إن الغيرة على الاعراض في مثل طرابلس الشام شديدة عند جميع طبقات الناس حتى ان أجهل الجاهلين وافسقهم ليندفع الى قتل من يعلم انه اعتدى على عرض اية امرأة من عشيرته بلا مبالاة ولا حذر من العاقبة فاذا استقر أمر هؤلاء المومسات اللواتي فتحن باب البغاء في هذه البلدة وترتب على ذلك أثره الطبيعي من فساد البيوت وابتذال الاعراض فلا بد أن يكثر سفك الدماء فيها ، فهل تفكر العلماء والفضلاء وأهل الغيرة والنجدة في هذه العواقب ولم يبالوا بها أم هم عنها غافلون ؟؟

يغلب على ظني أنه لو جمع بعض العقلاء فتيان البلد الشجعان (الابعاديات) وبين لهم أن هذه الفتنة ستكون سببا لتهلك الاعراض وسفك الدماء وفساد الصحة واضاعة الاموال لسبقوا العلماء الى السعي في منعها وتلافي شرها قبل تمكنها ورسوخه

إنما أخرت الاشارة الى ذهاب المال لانه في نظر أهل ملتنا دون العرض والنفس ولكنهم اذا اعتادوا هتك العرض يرجعون المال فان البلاد التي فشا فيها الزنا كلها قد كثرت فيها القيادة والدياثة لاجل المال حتى ان الرجل ليتجر بعرض امرأته وبناته وهذا مما يعده اكثر بلادنا من المحال الذي لا يتصور وقوعه منهم لظنهم أن شدة الغيرة صفة من صفاتهم الطبيعية التي لا تتغير وكان غيرهم يظنون هذا الظن الباطل ولم يشعروا ببطلانه الا بعد موت الغيرة بفشو الفسق على ان المال عزيز عند كل الناس في كل مكان وزمان والمحافظة على الثروة هي اساس قوة الامم وعزتها في هذا العصر . ولست أعني باضاعة الفسق للثروة وذهابه بالاموال ما يتبادر الى اذهان الاكثرين الذين أوجه اليهم هذا الخطاب من الشفقة على الشاب الفقير الذي يضيع معظم كسبه بجهله من نصيب هؤلاء المومسات وانما أعني ما هو أعظم من الشفقة على هؤلاء الظالمين لانفسهم أعني أن هذا البغاء يذهب بحظ عظيم من مال الامة الى جيوب الاجانب الذين أذلوها وبزوا دولتها باستعلائهم عليها بالثروة فان معظم المومسات في الشرق من اليونانيات والرومانيات والنمساويات والفرنسيات الخ ومن يرسلن معظم ما يسلبنه من فساقنا الى بلادهن فيكون نقصا من ثروتنا ومزيدا في ثروة امهن ودولهن ولولا ما يأخذه اليونانيون واليونانيات من مصر وغيرها من البلاد الخارجية لاضمحلت دولتهم وضعفت أمتهم بالفقر المدقع

ان مفاسد البغاء في بلاد اسلامية صغيرة مثل طرابلس الشام ستكون أعظم واكثر من ... منه في البلاد التي آدابها غير اسلامية وفي البلاد الاسلامية الكبيرة التي يسهل فيها اخفاء الفسق قبل أن يخف وقعه على الجمهور بالاعتياد الذي يضعف الدين ويفسد الفطرة ، فلا يمكن بيان تلك المفاسد بالتفصيل في مقالة أو مقالات قليلة وانني لاعجب من سكوت حملة الاقلام في طرابلس عن ذلك وعن حفز الهمم لمقاومته وحثها على تلافيه كما اعجب من ضعف العلماء والفضلاء في المطالبة بمنع هذا المنكر

هذا وانني قد بلغت خبر ماحل بطرابلس مولانا شيخ الاسلام وهو الذي عرفت منه النجدة والغيرة فاذا شكا أهل هذه البلدة الى الحكومة الادارية ولم تشكهم فليرفعوا الامر اليه وأنا الضمين لهم بأنه يأخذ بيدهم ولعله عهد الى نقابة الداخلية بوجوب الاهتمام بسماع شكوى الاهالي في مثل منع هذه المنكرات فيجب على أهل طرابلس ان يكونوا قدوة صالحة لغيرهم في الخير ولا يكونوا قدوة سيئة لهم بالسكوت على مثل هذا المنكر الذي سيحل بهم مثلهم والله الموفق والمعين